الفصل الأول

اليهود في تاريخ المغرب:
التوزيع المجالي والحياة الاجتماعية

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

التوزيع المجالي لليهود في تاريخ المغرب

أولا: يهود المدن

استيطان اليهود لمدينة فاس:

لما اشترى مولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنه، موضع مدينة فاس أمنها الله وشرع في بنائها [...] قصد إليها خلق كثير من اليهود [...] ممن يرغب في العافية. فأنزلهم بناحية إغلان إلى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية في كل سنة ثلاثون (كذا) ألف دينار فغرسوا البساتين، وبنوا الديار والحوانيت والرباع وأرادوا عمارة ذلك فرتبهم أحسن تربيت في الإسكان وتعمير الأسواق والاحتراف بالحرف التي تقوم بها المدينة.[١]

انتقال اليهود إلى فاس الجديد وتزايد عددهم في العهد المريني:

يشغل اليهود في أيامنا هذه جزء المدينة الذي كان مقاما قديما لحرس الرماة. وكانت مساكن اليهود قبل ذلك في المدينة القديمة، فكان المسلمون ينهبون أمتعتهم كلما مات ملك، فلما ولي الملك أبو سعيد[٢] نقلهم من المدينة القديمة إلى المدينة الجديدة بعد أن ضاعف عليهم الجزية، وبها يقيمون اليوم، ويشغلون

(١) مجهول، **قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين**، ص.٤٩.

(٢) أبو سعيد عثمان المريني، تولى الملك بين ٨٠٠ و٨٢٣م.

obeikan.com

شارعا طويلا وعريضا جدا، فيه دكاكينهم ومعابدهم. وقد تكاثر السكان اليهود حتى إنه لم يعد بالإمكان معرفة عددهم، لاسيما بعد أن طردهم ملوك إسبانيا، وهم محتقرون من طرف الجميع، لا يحق لأي منهم أن ينتعل أحذية، وإنما يلبسون نعالا من قش، ويتعممون بعمائم سود. ومن أراد منهم أن يضع قلنسوة فعليه أن يخيط عليها قطعة من ثوب أحمر. وتبلغ الجزية المضروبة على يهود فاس أربعمائة مثقال في الشهر تؤدى للخزينة الملكية.(١)

يهود أغمات في عهد الأمير علي بن يوسف المرابطي:

أغمات أيلان مدينة صغيرة في أسفل جبل درن المذكور وهي في الشرق من أغمات وريكة [...] وبينهما ستة أميال وبهذه المدينة يسكن يهود تلك وهي مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف ولا تدخلها إلا نهارا وتنصرف عنها عشية وليس دخولهم في النهار إليها إلا لأمور له وخدم تختص به ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه فكانوا ينافرون المبيت بها حياطة على أموالهم وأنفسهم.(٢)

---

(١) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط.٢، ١٩٨٣. ج.١، ص.٢٨٣-٢٨٤.

- الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج.١، ص.٢٣٥.(٢)

يهود بادس في ق.١٦ م:

بادس مدينة مبنية على ساحل البحر البيض المتوسط يسميها الإسبانيون "فيليس دولاكوميزا"، وتضم زهاء ستمائة كانون ... ومازال بالمدينة زقاق طويل يسكنه اليهود و تباع فيه الخمر.(١)

يهود تازة في ق.١٦ م:

تازا مدينة كبيرة لا يقل نبلها عن قوتها، وتعيش في رخاء على أرض خصبة ... تبعد عن تقريبا عن فاس بنحو ٥٠ ميلا [...] تحتل هذه المدينة الدرجة الثالثة في المملكة من حيث المكانة و الحضارة [...] وحول المدينة شعب تسقيه جداول ماء في غاية الجمال، وتكثر فيه بساتين تنتج كميات وافرة من ألذ الثمار، وكروم تعطي محصولا طيبا من العنب الأبيض والأحمر والأسود، يعصر منه اليهود الذين لهم نحو خمسمائة دار في المدينة خمرا.(٢)

يهود المدينة في ق.١٦ م :

المدينة،(٣) حاضرة هسكورة. تقع [...] على حدود الأطلس [...] فيها الكثر من اليهود، بعضهم تجار وبعضهم صناع.(٤)

---

(١) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج.١، ص.٣٢٥-٣٢٦.

(٢) الوزان، ج.١، ص.٣٥٢-٣٥٥.

(٣) لعلها دمنات، إذ تنطبق صفات الموقع المذكورة هنا عليها (المترجمان، الوزان، هامش ص.١٦٤)

(٤) الوزان، ج.١،ص.١٧٦.

obeikan.com

يهود آيت عياض في ق.١٦م:

آيت عياض مدينة واقعة على جبل صغير في الأطلس من تأسيس الأفارقة [...] يسكن هذه المدينة نبلاء وفرسان، ويرى فيها أيضا من اليهود الذين يشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم بالصناعة.(١)

يهود تفزة في ق.١٦م:

تفزة هي حاضرة تادلا، بناها الأفارقة في منحدر الأطلس على بعد نحو خمسة أميال من السهل، ولها سور مبني بنوع الحجر الكلسي المدعو عند أهل البلدة بتفزة، ومن ثم جاءت تسمية هذه المدينة.

سكان تفزة كثيرون أثرياء، وفيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار أو صناع.(٢)

يهود أسفي في ق.١٦م:

أسفي مدينة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المحيط، كان بمدينة أسفي قديما عدد كثير من الصناع ونحو مائة دار لليهود.(٣)

(١) الوزان، ج.١، ص.١٨٥.
(٢) الوزان، ج.١، ص.١٧٦.
(٣) الوزان، ج.١، ص.١٤٧.

oberkan.com

يهود مائة بير في ق.١٦ م:

مدينة مائة بير في دكالة ... لا يوجد فيها أي صانع باستثناء بعض الحدادين اليهود.(١)

توطين السلطان محمد بن عبد الله ليهود أكادير بالصويرة:

لما وقف السلطان [محمد بن عبد الله] على التخطيط كما قدمنا أصدر أمره بنقل سكان أكدير بما فيهم من المسلمين بحرية وطبجية ويهود وأمر عمال السوس الأقصى والأحواز بناء المنازل وتوجيه البعوث إليها ... واتخذ اليهود حارة تعرف بالملاح إلى أن أجلوا عنها وأخذ العمال والتجار وغيرهم في بناء الدور والدكاكين والمخازن وغيرها.(٢)

يهود تييوت في ق.١٦ م:

وفي تييوت عدد كثير من الصناع اليهود، وهم لا يؤدون أية جزية، وإنما يقدمون بعض الهدايا الصغيرة إلى الأعيان.(٣)

يهود تيدسي في ق.١٦ م:

تيدسي مدينة كبيرة تحتوي على أربعة آلاف كانون، أسسها الأفارقة على بعد ثلاثين ميلا من شرق ترودانت، وستين ميلا من البحر، وعشرين ميلا من

(١) الوزان، ج.١، ص.١٥٣.
(٢) محمد بن سعيد الصديقي، **إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة**، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص.٢٢.
(٣) الوزان، ج.١، ص.١١٧.

obeikan.com

الأطلس [...] يمر نهر سوس بقرب المدينة على بعد ثلاثة أميال منها، وفيها عدد كثير من الصناع اليهود كصياغين وحدادين.(١)

تأسيس المولى إسماعيل العلوي لحي خاص باليهود:

ومن تأسيساته [المولى إسماعيل العلوي] التي بها سكناهم [اليهود] الآن، أسسها عام ثلاثة وتسعين وألف [...] وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة وإسكانهم بالمحل المؤسس لأجلهم فسكنوه وأخليت دورهم التي كانت وسط دور المسلمين بالمدينة، ثم سكنها أهل تافيلالت الذين بفاس بأمر من السلطان.(٢)

ثالثا: يهود البوادي

يهود الأطلس في ق.١٢ م:

من الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازاز [جبال الأطلس]، وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر، ويطردهم الثلج عنه فينزلون إلى ريف البحر الغربي. وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل [...] وإليها كان تغريب المعتمد بن عباد، فقال متمثلا حزينا بنقض العهود لبلد أهله يهود، وبناؤه عود،

(١) الوزان، ج.١، ص.١١٩.

(٢) عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط.١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج.١، ص.١٩٢.

obeikan.com

وجيرانه قرود، وكان اليهود في ذلك التاريخ أكثر سكانه، لأنهم سوقة فيلجؤون للحصن حيطة على سلعهم.(١)

يهود دمنسرة في ق.١٦ م:

جبل دمنسرة: يكون هذا الجبل أيضا جزءا من الأطلس مبتدئا من تخوم الجبل السابق ممتدا شرقا على مسافة نحو خمسين ميلا إلى جبل نفيفة في ناحية مراكش(٢) [...] ويسير في هذه الجبال عدد كثير من اليهود ممتطين صهوات الجياد، شاكين السلاح مدافعين عن سادتهم، أعني سكان الجبال، ويعتبرهم سائر يهود إفريقيا مارقين من الدين ويدعونهم كرايم.(٣)

يهود شيشاوة في ق.١٦ م:

يأتي جبل شيشاوة بعد الجبل السابق [جبل سمد]، وينبع منه نهر يحمل إسمه، سكان هذا الجبل متوحشون جدا ومحاربون لجيرانهم على الدوام ... ويختلط بهم كثير من اليهود الذين يزاولون في هذه الجبال مهنة الحدادة ويصنعون المجارف والمناجل وصفائح الخيل، كما يخدمون بالبناء الذي لا

(١) مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥، ص.١٨٧/ محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسلن عباس، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٧٥، ص.٤٣٥.

(٢) تقع بلاد نفيفة حاليا شمال بلاد دمنسرة بين واد أمجنيف غربا وواد إيمينتانوت شرقا. (المترجمان، الوزان، ج.١، هامش ص.١١١).

(٣) الوزان، ج.١، ص.١١١.

يفيدهم فائدة تذكر، لأن الجدران تقام بالآجر النيء والطين، وتغطي المنازل بالقش، إذ لا يوجد جير ولا قرميد ولا آجر[١]

يهود هنتاتة في ق.١٦ م:

جبل هنتاتة: لم تر عيني قط أعلى من هذا الجبل الذي يبتدئ غربا من تخوم كدميوة، ويمتد على مسافة نحو خمسة وأربعين ميلا إلى جبل أديمي [...] وفي هذا الجبل كثير من الصناع اليهود يؤدون الجزية لهذا الأمير، وهم جميعا من نحلة القراء (الذين يعتمدون نصوص التوراة وحدها)، ويقال إنهم يبلون البلاء الحسن في الحرب إذا أعطوا السلاح.[٢]

يهود قندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازان:

بعض هؤلاء البربر [قبائل قندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازان] كانوا يدينون بدين اليهودية، أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم، لقرب الشام وسلطانه منهم.[٣]

---

(١) الوزان، ج.١، ص.١٤٠.

(٢) الوزان، ج.١، ص.١٤٢.

(٣) عبد الرحمان بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت، لبنان، ج.٦، ص.١٢٦.

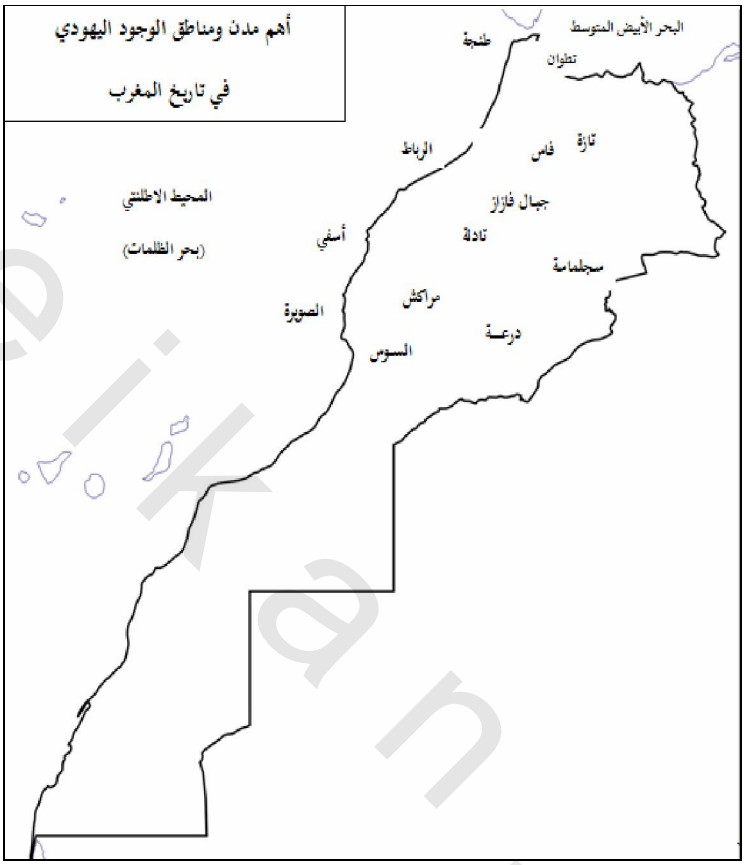
أهم مدن ومناطق الوجود اليهودي
في تاريخ المغرب
البحر الأبيض المتوسط
طنجة
تطوان
تازة
فاس
الرباط
جبال فازاز
المحيط الاطلنتي
(بحر الظلمات)
أسفي
نادلة
سجلماسة
مراكش
الصويرة
درعـة
السوس

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الثاني
الحياة الاجتماعية ليهود المغرب

في تنوع أصول يهود فاس:

إن هذه المجموعة البشرية التي كانت تعيش على هامش الحاضرة، منطوية على نفسها، لم تكن لها وحدة الأصل التي يمكن افتراضها. وفعلا، فلا بد من أن نميز فيها بين أربعة عناصر مركبة، على الأقل:

١. اليهود المقيمون في المدينة منذ تأسيسها [...] وهم مجهولو الأصل. هل كانوا يهودا نزحوا من فلسطين أو بربرا متهودين ؟ وحيث إننا لا نعرف عنهم سوى وجودهم دون إيضاح آخر، فإننا نقتصر على افتراضات اعتباطية في حقهم.

٢. برابرة متهودون ليس لهم أسماء عائلية وإنما يدعون بأسمائهم الشخصية وأسماء آبائهم، مثل رفائيل بن ميمون. ومازال لبعضهم الشكل الجسدي لبعض الجبليين. ولعلهم امتزجوا مه الأولين حتما.

٣. يهود جاؤوا من إسبانيا أيام استرجاعها وطرد اليهود منها من طرف الملوك الإسبانيين في القرن السابع عشر. ومازال الكثير منهم يحملون ألقابا إسبانية، أمثال طوليدانو، ومونسونيگو، ومانسانو، ومرسيانو، وأزويلوس، إلخ ... وهم كثيرون جدا بملاح فاس. فهذا العنصر إذن حديث نسبيا،

oberkan.com

ويبدو أنه كان هو أهم العناصر، إذ رجحت الطقوس الإسبانية في الحياة الدينية إلى درجة أن بيعة واحدة فقط تحمل الإسم النموذجي لبيعة الفاسيين هي التي بقيت وفية للطقوس القديمة، ومن جهة أخرى فإن هؤلاء اليهود الإسبانيين قد مارسوا اللغة الإسبانية مدة طويلة: يشير دو أمسيس إلى أن نساء بعض العائلات ما زلن يتكلمن بها بطلاقة في عهد مولاي الحسن.

٤. وأخيرا يهود من سوس، استقبلهم مولاي إسماعيل بفاس في أوائل دولته، وآخرون من تادلا جاؤوا في عهد مولاي رشيد سنة ١٦٧٣.[١]

من خصائص الحياة الاجتماعية ليهود ملاح فاس قبل الحماية:

الحياة اليومية لم تكن شاقة كما كان يمكن أن يتصور: إذ كانت العادة تمنع اليهود من أن ينتبهوا إلى رائحة الجيف المتراكمة تحت جدرانهم والأزبال التي تسد أزقتهم، وتجعلهم العادة أيضا يتحملون ذلك النوع من الانحباس الذي كانوا يعيشون فيه. وكانوا يشعرون، في داخل حيهم، بانطباع أمن أكثر من انطباع احتجاز عندما كان يحميهم، في المساء، بابهم الموصد بشدة وأسوارهم الشاهقة. وعنئذ كان جمهور لجب يملأ الزقاق الكبير الذي كانت تضيئه، عندما يأتي المساء، بعض مصابيح الغاز، وكان ذلك ترفا غير معروف في المدينة القديمة، وكانت السطوح تمتلئ بالرجال والنساء الذين يستنشقون الهواء عند غروب الشمس، وفي عشية يوم السبت، يذهب أفراد الأسر وقد أخذوا زينتهم للتفسح في المقبرة، وهو الحيز الوحيد الكشوف في الحي.

كان جميع يهود فاس يسكنون الملاح وكانوا وحدهم فيه بالفعل، لأنه ينبغي

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.١، ص.٢٧١-٢٧٢.

ألا نعتبر إلا قليلا من الأوربيين من أصل وضيع حصلوا على سكنى فيه. فلم يكن يعيش أي مسلم فحسب، ولكن الوافدين عليه منهم كانوا قليلين على العموم: لم تجتذبهم إليه سوى التجارة أو الملذات السهلة المحرمة، ويمكن التأكيد بأن قسما وافرا من مسلمي فاس لم يدخلوا قط إلى هذا الحي، لذلك كان اليهود بالملاح في محلهم وفي حمى من كل تنكيد وكل تعسف بصفة عامة. إلا أن الأشياء كانت تتغير عندما يخرجون منه.[١]

إن المساكنة الطويلة الوثيقة، والمصالح والمخاوف والمخاطر المشتركةلم تلبث أن محت هذه الاختلافات في الأصل ويمكن القول إن الطائفة اليهودية كانت حقا المجموعة الأكثر تجانسا بفاس في أوائل القرن العشرين.

فهؤلاء القوم الذين كانوا يعيشون سجناء في نطاق ضيق، ويتزوجون فيما بينهم دون أن تكون لهم أية علاقة تقريبا بالخارج، ويقطنون في مساكن غير صحية في أغلب الأحيان، مرغمين بالقضاء والقدر على اختلاط مؤلم، لم يكن في استطاعتهم أن يعرفوا نشاط توازن جسماني جيد. لا يمكن اليوم للشبان اليهود الذين يترددون على الملعب الرياضي والمسبح أن يكونوا فكرة عما عليه أجدادهم يوم كانوا في سنهم، لم يكن لهم ولو وسيلة الحمامات، لأن المسلمين لم يكونوا يسمحون لهم ببناء حمام دافئ، وبذلك لم يمتلكوا سوى حمامين باردين بالدرب الفوقي، في الحي المرغوب فيه أكثر. وكانت الطبقة الدنيا تتعاطي أحيانا الرياضة في مساحة تركت فارغة في المقبرة، ويذهب الأعيان في بعض الأحيان ليتنزهوا في فصل الربيع على ضفاف واد فاس أو في حدائق دار دبيبغ،

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.١، ص.٢٧٤-٢٧٥.

لكن ذلك لم يكن سوى أحداث عارضة ونادرة في حياة جسمانية هزيلة.[١]

اليهود الفاسيون: في الهوية والعمران:

لما كان يهود فاس منطوين على أنفسهم، مالكين شخصيا جزء من حياتهم الاقتصادية، متشبثين كثيرا بدينهم، فمن البديهي أن تكون لهم مؤسسات اجتماعية خاصة.

كانت بيئة الحياة الاجتماعية مختلفة إلى حد ما مع بيئة الفاسيين المسلمين، وكانت المنازل أحيانا مشيدة حسب نفس التصميم العام للمدينة، أي فناء محاط بحجرات مستطيلة في ثلاث جوانب على الأقل، ولكن نظرا لضيق المكان الذي فيه اليهود، كان حجم الأفنية أصغر، والحجرات أضيق، على أن كثيرا من الدور كانت تبتعد عن هذا التصميم النموذجي: فالعديد منها ينقصها الفناء لربح حجرة أو حجرتين، ولم يكن من النادر وجود دور ذات شقق. وعلاوة على ذلك، وهذا فارق هام، كانت في الجدران نوافذ مفتوحة على الخارج وذات شبابيك بصفة عامة. وهكذا لم يكن الملاح يعرف الألفة الغيورة التي للمنازل الاسلامية. وأخيرا كانت جدران الدور الخارجية مبرقشة بألوان براقة، كالأزرق، والأصفر، والوردي، والأحمر القاني، التي كانت تشكل مفارقة مع الرتابة القاتمة لجدران المدينة.[٢]

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.١، ص.٢٧٢-٢٧٣.

(٢) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٣-٨١٤.

obeikan.com

الأثاث عند يهود فاس بين الترف والفقر:

كان الأثاث أيضا يشهد بذوق يهود فاس، وعلى الأقل أغناهم، في حب التجديد. وإليكم وصف أندري شفريون لداخل منزل زاره بالملاح: "نحن الآن في غرفة الشرف، بالطابق الثاني، جالسون باحتفال على كراسي وأرائك مزخرفة من طراز العهد الإمبراطوري الثاني... ومناضد صغيرة متلوية، وعدد وافر من المرايا في أطر من الذهب الأمريكي، وصوانات من خشب أصفر، كل هذا الأثاث حمل من الشاطئ على ظهور الجمال. ثم علامات الدين: مصورات ملونة ألمانية، يلمع فيها داوود وسليمان متوجين، وكتابات عبرية بحروف مربعة [...] ولكن الأكثر غرابة من هذا الخليط من الزينة، هو سرير حقيقي بروطونيي، سرير مقفل دون وافد، مزخرف بنقوش أزهار، موضوع في طرف الغرفة".

كان الفقراء مضطرين كثيرا إلى الاكتفاء بنفس الأثاث كالمسلمين الذين هم في وضعيتهم، أي لحافات من صوف، وصناديق ومائدات مستديرات قصيرات من الخشب الأبيض.

كان يهود فاس يعيشون عيشة تقليدية في هذه البيئة الملونة بالتجديد، وكان للشريعة الدينية تأثير عظيم: لم يكن الغرب قد وضع عليها طابعه بعد.[1]

يهود فاس وطبيعة الملكية:

كانت الثروات من المنقولات على الخصوص. فاليهود يملكون معظم

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٤-٨١٥.

منازلهم لكن تكتلا في هذا القدر الضئيل من المساحة التي كانت فيه ملكيات الجماعة متعددة، لم يكن يصلح كقاعدة لثروات عقارية حقيقية. ومن جهة أخرى كان اليهود يملكون بعض الدور بفاس الجديد وعددا قليلا من الغرف بفندق النجارين. وفي خارج فاس لم يكونوا يملكون ولو شبرا واحدا من الأرض.

فكان إذن متاع الإسرائيليين مؤلفا خاصة من النقود، والسلع، والحلي، وكلها أشياء يسهل حملها أو عند وقوع أحداث خطيرة.(١)

يهود فاس ... وحدة المجال والمصير:

كانت توجد بالملاح، كغيره من الأماكن، طبقات اجتماعية، لكنها أقل ما يمكن تفرقة. فكما هو الشأن في المدينة، كان الأغنياء والفقراء يحتكون بسلام، يكادون لا يميزون بأزيائهم، ويلتحمون بعضهم ببعض خوفا من أخطار مهددة باستمرار. كانوا كلهم مهددين في حالات الاضطرابات، ولم تكن لهم في فترة العنف وسيلة أخرى عارضة جدا غير الاتحاد. ومن جهة أخرى، كانوا جميعا يتعارفون، أكثر مما عليه سكان المدينة الاسلامية، وذلك من جراء ضيق الحي.(٢)

بعض مميزات الحياة العائلية ليهود فاس قبل الحماية:

كانت الحياة العائلية شبيهة بالحياة بالمدينة: فالعائلات في الملاح أيضا مجموعة لا بحسب الزوجين، ولكن حول رب الدار الذي كان يحتفظ بأبنائه إلى

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٦.
(٢) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٥-٨١٦.

جانبه ولو كانوا متزوجين، مادام التكديس لم يعد مفرطا. ولم يكن هناك أيضا الزوجان مستقرين تماما، وعلى الأقل نظريا، إذ كان يحق للزوج أن يطلق زوجته، لكن هناك أيضا كانت العادة والمصالح تفرض حدودا لنزوة الرجال، لأن الزوج، في حالة الطلاق، كان ملزما برد الصداق الذي أتت به إليه امرأته عندما تزوجها، غير أنه ينبغي الإشارة إلى أنه لا وجود في الملاح لأولئك الإماء السود اللائي كان لهن دور مهم في الأسر الإسلامية بفاس. ويبدو أن الإلتحام العائلي بالملاح كان أقوى، وأن تأثير الأب على أولاده كان أشد، وأن العائلة كانت تجتمع أكثر. وقد يعزى ذلك إلى أن الرجال والنساء كانوا يعيشون في تفرقة أقل بكثير.(١)

لباس يهود فاس في العهد المريني:

يشغل اليهود في أيامنا هذه جزء المدينة [فاس الجديد] الذي كان مقاما قديما لحرس الرماة. وكانت مساكن اليهود قبل ذلك في المدينة القديمة، فكان المسلمون ينهبون أمتعتهم كلما مات ملك، فلما ولي الملك أبو سعيد نقلهم من المدينة القديمة إلى المدينة الجديدة بعد أن ضاعف عليهم الجزية، وبها يقيمون اليوم، ويشغلون شارعا طويلا وعريضا جدا، فيه دكاكينهم ومعابدهم. وقد تكاثر السكان اليهود حتى إنه لم يعد بالإمكان معرفة عددهم، لاسيما بعد أن طردهم ملوك إسبانيا، وهم محتقرون من طرف الجميع، لا يحق لأي منهم أن ينتعل أحذية، وإنما يلبسون نعالا من قش، ويتعممون بعمائم سود. ومن أراد منهم أن يضع قلنسوة فعليه أن يخيط عليها قطعة من ثوب أحمر. وتبلغ الجزية

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨٢٣.

المضروبة على يهود فاس أربعمائة مثقال في الشهر تؤدى للخزينة الملكية.[١]

كما كان اللباس موحيا هو الآخر. فزي الرجال مفروض عليهم بالعادة الاسلامية: أي طاقية سوداء جاثمة على القفا، ومعطف أسود، ورجلان في نعال بدون جوارب. وكانت مختلف أجزاء اللباس وتفصيلها تذكر عن قرب بالأزياء الاسلامية، لكن زينة النساء كانت من نوع آخر، فكن يخرجن سافرات الوجوه، مغطيات شعرهن بمنديل ذي أهداب "معقود في شبه تاج شبيه بحنطوز المسلمات، مع شبكة لإمساك الشعر". وكان خمار ذو أهداب أيضا يغطي أكتافهن، ويلبسن قميصا يغطي القسم الأعلى من جسمهن وإزارا يغطي القسم الأسفل، وينتعلن خفافا عريضة في الأعلى أضيق من نعال المسلمات وكن يرتدين داخل المنزل فستانات ذات ألوان براقة "مزينة بشرائط ومطرزة بالذهب، وسترات من الجوخ مزينة كذلك بشرائط من ذهب، وواقيات صدر مطرزة، وحزامات من الحرير" وربما وجب البحث عن أصل هذا الزي في إسبانيا، وعلى كل حال، فإننا نرى أنه لم يتأثر البتة بزي النساء المسلمات، ويمثل تشابها مع الزي النسوي لأوربا.[٢]

الأوضاع الصحية ليهود فاس قبيل الحماية:

لا يمكننا أن نتعجب مما كانت تحدثه الأوبئة من فتك ذريع بملاح فاس: فقد خلف وباء ١٩٠١ (وهو التيفوس أو الحمى الخبيثة) -حسب ما قيل- ٣٠٠٠ وفاة في أربعة أشهر. وفي السنوات المعتدلة كانت الوفيات عند الصبيان مرتفعة جدا في الصيف. لذا كان المتطببون كثيرين، منهم أولا سحرة

(١) الوزان، ج.١، ص.٢٨٣-٢٨٤.

(٢) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٣-٨١٤.

وكيميائيون، وكل من كانوا يزعمون امتلاك التقاليد الطبية والصحية اليهودية، لكن كان هناك أيضا أطباء: ففي سنة ١٨٨٨ كان "طبيب الطائفة الإسرائيلية بفاس" يعطي شهادة طبية باللغة الإسبانية في قضية ضرب وجرح. وبعد خمسة عشر عاما كان في سنة ١٩٠٣ أربعة أطباء يقيمون بالملاح، وكلهم على الديانة اليهودية: إسباني، وهو إبراهام أمسيلي، وتركي وهو سلومون كوهن، وروسي، هو سلومون شابيرا، وفرنسي هو مخلوف أمسلم، كما كان منهم من أصله ألماني. وكان هؤلاء الأطباء يعملون في ذات الوقت كصيدليين ويحصلون من أوربا على بعض الأدوية البسيطة.

إلا أن الحياة اليومية لم تكن شاقة كما كان يمكن أن يتصور: إذ كانت العادة تمنع اليهود من أن ينتبهوا إلى رائحة الجيف المتراكمة تحت جدرانهم والأزبال التي تسد أزقتهم، وتجعلهم العادة أيضا يتحملون ذلك النوع من الانحباس الذي كانوا يعيشون فيه.(١)

اليهود وداء الإفرنج في ق.١٦ م:

وهذا الداء [داء الإفرنج أو الزهري] لم يشاهد قط ولم يذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فيرديناند ملك إسبانيا اليهود من بلاده جاء كثير منهم إلى بلاد البربر فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كثير من يهود إسبانيا، وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا قليلا في ظرف عشر سنوات حتى لم تعد تسلم منه أية أسرة.(٢)

---

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.١، ص.٢٧٣-٢٧٤.

(٢) الوزان، ج.١، ص.٨٤.

التربية والتعليم عند الطائفة اليهودية الفاسية قبل الحماية:

كانت المماثلات تبقى واضحة في ميدان تربية الطفل. ففي السنوات الأولى يخضعون للنساء: الأم، والجدات والقريبات أو الخادمات. ونظرا للتكديس، كان الأطفال يعاملون بشدة أكثر مما هم عليه في المدينة، لكن طرق الصحة والتربية كانت تكتسي عدة ملامح مشتركة.

كان أبناء الأسر المتشبثة بالتقاليد -وهي الأكثر عددا- يذهبون قصد تعلمهم إلى مدارس تلمودية (صلاة) شبيهة جدا بالكتاتيب القرآنية: نفس المعلم من أصل متواضع، ونفس الأماكن غير المريحة، ونفس الطريقة البيداغوجية المركزة أساسا على الحافظة. غير أنه، ابتداء من السنوات الأولى للقرن العشرين، كان يلاحظ بها بعض آثار يسيرة للتجديد، إذ كان التلاميذ يدرسون نصوصهم في أوراق مطبوعة، ولم يكونوا يطالبون بالكتابة إلا إذا تقدموا في دروسهم. ومن جهة أخرى، كانوا لا يكتبون إلا يوم الجمعة صباحا، بقلم رصاص في البداية، ثم بقصب مبري، وكانوا يستعملون لهذا الغرض "ورق الرسائل من مقاس تجاري، ذا مربعات من اللون الأزرق الفاتح، ومدادا أسود من أوربا ...".

كان الشبان الراغبون في متابعة دراستهم يذهبون إلى إحدى المدارس العليا الأربع أو الخمس، (إيشيبا أو ياشيبوط) بفاس، حيث كان لهم معلم ربي شهير. وعند تخرجهم منها قد يصبحون كهنة يحتفلون بالقداس، أو معلمين في مدرسة تلمودية، أو عدولا. أما أحبار المستقبل، فكان تكوينهم يتم عند سلفهم، بعد تخرجهم من "إيشيبا" ويعترف بهم كأحبار بعد مدة غير محددة عندما يكتسبون سمعة كافية من المعرفة، والحصول على ضمان (شبه إجازة) من معلميهم.

وكان المتطورون -وكانوا يوجدون بالملاح قبل الحماية- يرسلون أبناءهم إلى مدرسة الاتحاد الإسرائيلي العالمي التي أنشئت بفاس منذ ١٨٨٠، فيتعلمون فيها اللغة الفرنسية ويتلقون تعليما ابتدائيا عصريا.

كان الصبيان يلجون الحياة الدينية للجماعة، في حوالي الثالثة عشرة من عمرهم، ويحملون التميمة، وفي صبيحة ذلك اليوم كان الأبوان ينظمان بالمنزل العائلي اجتماعا مساء يحضره ربي ومنشدون، ويكون مناسبة ليظهر فيه الشاب معرفته الدينية، وذلك باستظهار خطبة يكون ربيه قد لقنه إياها. وكان الحلاق، أثناء هذا الاحتفال، يقص شعر بطل الحفل فيجازيه الحاضرون بصلاتهم. وفي يوم الحفل بمعنى الكلمة كان الطفل الصغير، وهو لابس خمار الصلاة والتميمة على ذراعه، يقاد إلى البيعة من طرف الربي وأقربائه الذكور، فليقي خطابا جديدا حفظه إياه ربيه عن ظهر قلب، ثم يجلس على أريكة عند الخروج، فيحمل حمال الكل على رأسه ويذهب الموكب المؤلف من رجال العائلة ونسائها، وقد جاؤوا لينتظروا بباب البيعة، وليلتحق بالمنزل على إيقاع جوق موسيقي وفي وسط ابتهال شعبي. ولم يكن الحفل ينتهي بدون مأدبة.[1]

الدين والنفوذ عند المجتمع اليهودي الفاسي قبل الحماية:

لم تكن الثروة العنصر الوحيد للطبقية الاجتماعية. كان آل كوهن وآل ليفي ما يزالون يتمتعون بمزايا دينية تقليدية، دون أن يستفيدوا مع ذلك بنفس القدر من الاعتبار الذي كان للشرفاء في الوسط الاسلامي. وبالعكس من ذلك، كانت الأسر الربينية، وخاصة أسر الربيين الكبار، تتمع بنفوذ عظيم مهما كانت درجة يسرهم. كان علم الربيين وطابعهم الديني يفوق كل شيء آخر. ولعلهم

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٢-٨٢٣.

وهم كهان، كان لهم في الملاح تأثير أكثر من فقهاء الجامعة الاسلامية في المدينة.(١)

إسلام اليهود (البلديين) في القرن ١٣ م:

ولي أمر المدينة أمير المومنين [...] يعقوب بن عبد الحق المريني رحمه الله تعالى وتمهدت الدولة المرينية، وأوقع المسلمون باليهود الوقعة المعلومة العظمى سنة أربع وسبعين وستمائة بسبب أمور أدت إلى استباحة دمائهم وأموالهم. فأسلم في تلك الوقعة من أسلم منهم، خوفا من السيف. ثم كف أبو يوسف العوام عن قتلهم وأخذ أموالهم وأمر من نجا منهم بسكنى فاس الجديد وأخرجهم من فاس القديم، ثم إن من نجا منهم سمى من أسلم بالمهاجرين فكانوا يعايرونهم (كذا) بذلك، فصار ذلك الإسم علما على من أسلم منهم إلى الآن.(٢)

الشعائر الجنائزية اليهودية:

إذا دنا الأجل، دخلت الطائفة (هبيرا) إلى المسرح. كان فعلا لملاح فاس، على غرار كل الجماعات اليهودية، طائفة موضوعة تحت إشراف الحاخام سيميون بار يوحاي، تضم نحو أربعين عضوا ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية، ويتحلون كلهم يتدين كبير. كانوا مقسمين سبعة أقسام، بعدد أيام الأسبوع، يمتثل كل قسم لأوامر "مقدم" يتولى الحراسة مرة في الأسبوع، وعند أدنى إشارة يجمع فريقه في أقرب وقت للقيام بالواجب الديني المطلوب منه.

---

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٦.

(٢) مؤلف مجهول، **قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين**، ص.٥٤-٥٥.

كما كانت هناك طائفة للنساء وأخرى للأطفال. كان يدير الطائفة "شيخ" لم تكن مهامه وراثية بمعنى الكلمة، لكن العادة كانت تقتضي أن يختار دائما تقريبا من نفس العائلة.

كانت الطائفة تلعب دورا هاما في الشعائر الجنائزية ... لكن نشاطها لم يكن يقف هناك، إذ كانت تساهم أيضا في حفلات الزفاف ومعظم الحفلات العائلية. وكان أعضاؤها يتدخلون أحيانا لإصلاح ذات البين بين الزوجين، ويحرصون على المراعاة الصارمة لعوائد السبت، ويقومون جميعا يوم السبت بتلاوات دينية متبوعة بشروح. وهكذا يقدر التأثير الذي كان لهذه الجمعية على الحياة الخلقية والروحية للملاح. ونميل طبعا إلى مقارنتها بجماعة القربان المقدس التي كانت مزدهرة بفرنسا في القرن السابع عشر.

كان أعضاء "هبيرا" يسرعون بمجرد بمجرد ما كانوا يستدعون إلى فراش مريض في حالة خطيرة للسهر عليه وتلاوة صلوات من شأنها أن تخفف آلامه.

وإذا أشرف المريض على الموت، حفزوه على الاعتراف بذنوبه، ورتلوا صلوات المحتضرين وقرؤوا عوضا عنه شهادة (شيما) الآتية: "اسمع يا إسرائيل، ربنا الإله رب واحد. والصلاة على اسم مجد ملكه، دائما وأبدا، إن الرب هو الله". وبمجرد ما كان يلفظ نفسه الأخير، يقوم بعضهم بالغسل الجنائزي، بينما يشتغل الآخرون باختيار مكان القبر وحفره، وفي وقت الدفن، الذي كان يلي الوفاة عن قرب يتكفل بعض الزملاء بالمحمل، بينما يتبع الآخرون الجثة وهم يرتلون صلوات على روح الراحل. كان موكب الجنازة يلتحق بالمقبرة على إيقاع عويل العائلة. وهناك وبعض صلوات أخرى "كانوا يعرضون للبيع بالمزاد حظوة إنزال الميت في قبره. وقبل مغادرة المقبرة كان ولد

الراحل يتوقف بالباب ليقرأ صلاة أخيرة.

وكانت الأسرة، رجالا ونساء، تستمر في الصلاة سبعة أيام، لا تخرج البتة إلا للذهاب، كل صباح، لقراءة الزبور على الرمس المغطى بالتراب الطري، وتكف حتى عن الغسل، وكان الرجال يومئذ لا يقصون شعر رأسهم ولحيتهم طوال سنة كاملة. وكان يقدم طعام جنائزي في اليوم السابع، وهو عبارة عن وجبة خفيفة شعائرية لا مأدبة فاخرة. ثم كانت تأتي سلسلة الذكريات مع زيارة المقبرة في كل مرة: السبت الموالي لليوم السابع، وآخر سبت من الشهر الأول، واليوم الثلاثون، وأول سبت من آخر شهر السنة، وهو الذكرى بمعنى الكلمة. كان القبر يبقى على حاله مدة تسعة أشهر، ثم كانت العائلة تشيد عليه ضريحا صغيرا بسيطا جدا، ويوم تدشين هذا الضريح، كانت العائلة تتناول غداء في المقبرة وتوزع الصدقات. وبعد الذكرى الأولى كانوا يذهبون إلى المقبرة بمناسبة الأعياد والذكريات. وكان الأطفال يصومون في تلك الأيام.[1]

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨٢٣-٨٢٦.

Openkan.com

المبحث الثالث

اليهود والمسلمون المغاربة
بين الاتصال والانفصال

يهود ومسلمو فاس في القرن ١٩ م: بين الاتصال والانفصال:

كان جميع يهود فاس يسكنون الملاح وكانوا وحدهم فيه بالفعل، لأنه ينبغي ألا نعتبر إلا قليلا من الأوربيين من أصل وضيع حصلوا على سكنى فيه. فلم يكن يعيش أي مسلم فحسب، ولكن الوافدين عليه منهم كانوا قليلين على العموم: لم تجتذبهم إليه سوى التجارة أو الملذات السهلة المحرمة، ويمكن التأكيد بأن قسما وافرا من مسلمي فاس لم يدخلوا قط إلى هذا الحي، لذلك كان اليهود بالملاح في محلهم وفي حمى من كل تنكيد وكل تعسف بصفة عامة. إلا أن الأشياء كانت تتغير عندما يخرجون منه: كانوا أولا يرتدون بذلة متميزة مؤلفة من طاقية سوداء، وجلباب أسود، ونعال سود. بالإضافة إلى أن عليهم ألا يمتطوا إطلاقا بغلة، وأن يخلعوا نعالهم أمام السلطات الإسلامية (من سلطان وباشا وقاض) وكذا عند مرورهم بالمساجد والأماكن المقدسة. وأخيرا فإنهم غالبا ما كانوا عرضة للسخريات والتنكيدات: وهناك ألعوبة معروفة جيدا عند أولاد السوقة بفاس الجديد، وهي أن تطرح على أرض طاقية يهودي ويرغم على دوسها برجليه وهم يصيحون: "اقتل العقرب !". ويكيلونه سبابا وهزءا كان ذلك مؤلما وسخيفا، لكنه لم يكن خطيرا، كان السوقة من المسلمين

يندفعون أحيانا إلى أعمال عنف أكثر خطورة تؤدي إلى مقتل إنسان أو قد تتحول إلى مجزرة حقيقية، كما حدث في أبريل ١٩١٢ .

كانت هذه الحوادث أقل وقوعا مما يقال، وبقيت من صنع الطبقات الدنيا، لاسيما منها طبقة فاس الجديد، إلا أنه كان يتفق أن يقع إزعاج الصناع اليهود ممن كانوا يشتغلون بفتل الحرير في حي الطالعة، فكان اليهود يدزكون أن العاصفة تدوي فيمكثون في الملاح بضعة أيام. أما بين البرجوازيين والمثقفين لكلتا الديانتين، فكانت العلاقات حسنة، تتجاوزأحيانا نطاق الاتصالات المهنية، حيث كان يستدعي بعضهم بعضا من الجانبين.

وعلى كل حال، فإن يهود فاس [...] كانوا يعيشون منزوين جدا ويعاملون من عدة وجهات نظر كسكان أجانب. إنهم كانوا يعيشون أحرارا في حيهم لكنهم كانوا في ضيق شديد وظروف صحية سيئة جدا، وبمجرد ما كانوا يخرجون، كانوا يعتبرون سافلين خاضعين لبعض التعسفات المهينة ومعرضين أحيانا لاستفزازات خطيرة.(١)

اليهود والمسلمون الفاسيون: تباين الهوية والعمران:

لما كان يهود فاس منطوين على أنفسهم، مالكين شخصيا جزء من حياتهم الاقتصادية، متشبثين كثيرا بدينهم، فمن البديهي أن تكون لهم مؤسسات اجتماعية خاصة.

كانت بيئة الحياة الاجتماعية مختلفة إلى حد ما مع بيئة الفاسيين المسلمين،

(١) فاس قبل الحماية، ج.١، ص.٢٧٤-٢٧٦.

وكانت المنازل أحيانا مشيدة حسب نفس التصميم العام للمدينة، أي فناء محاط بحجرات مستطيلة في ثلاث جوانب على الأقل، ولكن نظرا لضيق المكان الذي فيه اليهود، كان حجم الأفنية أصغر، والحجرات أضيق، على أن كثيرا من الدور كانت تبتعد عن هذا التصميم النموذجي: فالعديد منها ينقصها الفناء لربح حجرة أو حجرتين، ولم يكن من النادر وجود دور ذات شقق. وعلاوة على ذلك، وهذا فارق هام، كانت في الجدران نوافذ مفتوحة على الخارج وذات شبابيك بصفة عامة. وهكذا لم يكن الملاح يعرف الألفة الغيورة التي للمنازل الاسلامية. وأخيرا كانت جدران الدور الخارجية مبرقشة بألوان براقة، كالأزرق، والأصفر، والوردي، والأحمر القاني، التي كانت تشكل مفارقة مع الرتابة القاتمة لجدران المدينة.(١)

بعض أوجه التباين بين الطبخ والأطعمة اليهودية والإسلامية:

الطبخ اليهودي ولو أنه كان يعد بنفس توابل الطبخ الاسلامي، وعلى الأقل في تهييء اللحم، ولم يكن يتسم لا بنفس النوع ولا بنفس الرقة بصفة خاصة. ويظهر أحد ألوان الطعام الأكثر شهرة، وهي "السخينة"، وثقيلا وبسيطا جدا، إذا ما قورن بأنواع الطبخ الاسلامي. إنه طبخ قوم في ضيق شديد غالبا، لا يتمتعون بالتفتح ولا بالاطمئنان الضروريين لفن طبخي جيد.

بمجرد ما كان يفد عليهم زائر، يقدمون له شايا بالنعناع مهيئا بنفس طريقة المدينة ومصحوبا "بكعب غزال" وحلويات جافة شبيهة بالتي عند المسلمين. وكان اليهود يهيؤون، بمناسبة أعيادهم الدينية، أطعمة طقسية أو مجرد تقليدية، كحلويات "بوريم" أو رغائف عيد الفصح. وأخيرا كان أكثر ما يميز اليهود

(١) فاس قبل الحماية، ج.٢، ص.٨١٣.

عن المسلمين، هو تناول المشروبات المسكرة، كالخمر "كاشير"، وماء الحياة المصنوع بالزبيب، والمشروبات الروحية المستوردة من أوربا. كان بائع الخمور يقيم بالملاح منذ ما قبل الحماية.(١)

طقوس الزواج عند يهود فاس قبل الحماية والتأثر بالمسلمين:

الحالة العائلية: كان الزواج باكرا في غالب الأحيان أكثر مما هو عليه في المدينة. إن هذه العادة قد رسخت في الأخلاق إلى درجة أنها كانت تنظم مصير الزوجات غير البالغات: فلم يكن باستطاعتهن العودة إلى المنزل الأبوي ما دام لم يتم الدخول بهن. وخلال كل هذه الفترة التي قد تطول، كان على أمهاتهن أن يهتممن بهن في بيت الزوجية.

كان الأبوان يدبران الاتصالات وطالما دامت الخطوبة التي كان يحتفل بها باكرا جدا في وقت يكون الزوجان المستقبلان ما يزالان طفلين، كان على الخاطب والمخطوبة أن يتظاهرا بعدم تعارفهما، وقد كانا يتعرضان لتوبيخات كبيرة إذا مل يكونا قد تحاشيا في الزقاق بعناية. كانت الاتصالات الزوجية تتم بالعلاقات، دون حاجة إلى وسطاء أمثال الخاطبات وبائعات الزينة بالمدينة.

كانت الأعراس تدوم رسميا سبعة أيام وسبع ليال، ولكن نظرا للاستعدادات: (الحمام، والحناء، وعرض جهاز العروس، إلخ ...) ومختلف واجبات العروسين، كان لابد حقا من قضاء شهر على الأقل في حياة غير عادية. كان كل شيء يجري بين الأهل والضيوف، ولاشيء يذكر بخاطبات المدينة.

---

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨٢٦-٨٢٧.

كانت الحفلات بمعنى الكلمة تبدأ يوم الأربعاء مساء (ليلة الروحان). فينظم موكب من طرف الجمعية الخيرية (لهبيرا) يسوق الزوج إلى منزل العرس ويتيح فرصة لمهزلة كان الشبان يقلدون فيها السلطان، والوزراء، والباشا، مثلما يفعل المسلمون يوم عاشوراء. وكان موسيقيون إسرائيليون يصحبون الموكب ويساهمون بعد ذلك في جميع الاحتفالات غير الدينية، ويتولى ربي إذ ذاك منح بركة قصيرة. كان بالامكان أن يتم الدخول ذلك اليوم، حسب الظروف. وعلى كل حال لم يكن باستطاعة الزوج أن يخرج من منزله مدة سبعة أيام، كما أن الأطعمة الغزيرة والاستقبالات كانت تتوالى لمدة سبعة أيام كذلك، متسببة في مصاريف باهضة مثلما هو الحال في المدينة. كانت الأسر المثرية تستدعى الجفلى، فكان هناك نهار الربيين، ونهار الطلبة، ونهار التجار، إلخ ... وطبعا لم يكونوا ينسون عامة السوقة.

كان الخميس يوم الهدايا (هدية) المعلن عنها جهرا، كام هو الشأن في المدينة، وبهذه المناسبة توزع الصلات على الفقراء، وكان السبت هو يوم الاحتفال الديني: يذهبون إلى البيعة، وبالأحرى بيعة الزوج، حيث كانت تتعاقب الصلوات والأناشيد الطقوسية، ويقرأ عقد الزواج. وفي المساء يقام حفل كبير يسمع فيه جوق موسيقي. ويوم الاثنين يحق للمرأة الشابة الطلوع إلى سطحها الجديد، وكانت هذه مناسبة لاحتفال آخر يحضره المغنون. وأخيرا يوم الأربعاء، كان يحق للعريس أن يخرج من منزله ليلتحق وحده بوالدي زوجته، فيقدمان له غذاء، كما كان يقوم بعدة زيارات عائلية أخرى. كانت الروعة تنقطع آنذاك، فيتمكن الزوج من استئناف أشغاله المعتادة يوم الخميس. وبعد خمسة عشر يوما من تمام الدخول، كانت تقام مأدبة ويتاح للزوجة الشابة أن تذهب لترى أمها: وكان هذا الحفل يحمل الإسم الإسباني "طورنا بودا".

ويمكن أن يلاحظ، من خلال هذه البيانات الوجيزة، أن الاحتفالات اليهودية بالزفاف تأثرت إلى حد ما بالعوائد الإسلامية: فخطبة الزواج، والهدايا المقدمة إلى العروس خلال الخطبة، والموكب العرسي، والهزلية التي تصحبه، ونشر الهدايا، والاستقبالات التي كانت تستدعى إليها مختلف هيئات الحاضرة، وزيارة الزوج لأبوي الروس، وإلزامه قضاء حياة غير عادية طوال سبعة أيام، كل ذلك كان أكثر شبها بما يجري في المدينة الإسلامية من ألا يتأثر بها. لكن الطابع الديني للزواج كان متسما بحفل في البيعة، وهذا جزء عبري خالص، وبذكريات إسبانية عتيقة كانت مازالت قائمة في حفل "الطورنابودا". وأخيرا فإن عدة تفاصيل، مثل الأهمية المنوطة بتمام الدخول، ومنع العروس من رؤية أمها قبل أن تصبح امرأة فعلا، لم تكن لا إسلامية محضة، ولا يهودية محضة، ولكنها سامية.

لم يكن اليهود يتصورون الزواج بدون إنجاب، مثلهم في ذلك مثل المسلمين. لذلك، وإن كان القانون يبيح أربع نساء شرعيات، فإن العادة لم تكن تسمح بتعدد الزوجات إلا إذا كانت المرأة لم تلد في ظرف عشر سنوات من الزواج.

كان أبوا الزوجة الشابة يهديان جهاز الوليد، عند دخول الشهر التاسع من الحمل: وكان ذلك فرصة لفرح عائلي. وتحاط المرأة عند المخاض بقريباتها وتساعدها قابلة يهودية. لم يكن الأب يحضر عند الوضع، إنما كان يخبر بمجرد ما يولد الطفل. وفور الولادة والنظافة الأولى، تتخذ بعض الاحتياطات ضد التأثيرات الشريرة التي من المحتمل أن تحدث، فكانت القابلة تخط في جبين الطفل علامة سحرية بسواد الدخان، و"يعلقن فوق باب الدخول رأس ديك،

وأكاليل من العجين المشوي، وخمسة فلافل حمراء وبعض الأشواك". وفي اليوم التالي للولادة، كان أحد أقارب المرأة يطوف في الحجرة التي ينام فيها الوليد عند منتصف الليل، شاهرا سيفا حتى يبعد العين الشريرة، ويتكرر نفس الحفل يوميا إلى اليوم السابع. وكانت النفساء، في هذه الاثناء، تتقبل زيارات عديدة.

كان اليوم السابع يكتسي أهمية رئيسية على الأقل بالنسبة للصبيان، إذ كانوا يختنونهم ويعطونهم أسماءهم خلال حفل نصف-ديني، ونصف-عائلي.

إننا ندرك أن المخطط العام لما كان يجري بالملاح عند الزواج وعند الولادة يشابه كثيرا الوسط الإسلامي، ويتعذر تحديد الحصة الحقيقية من الواقع لهذين العنصرين في الصلات المعينة مقدما، وتناقض مجتمعين كانا يعيشان جنبا إلى جنب ويؤثر الواحد منهما على الآخر بكيفية جذرية.[1]

الشعائر الجنائزية اليهودية واختلافها عن نظيرتها الإسلامية:

يلاحظ أن الشعائر الجنائزية كانت أكثر تعقيدا بكثير مما هي عليه في المدينة، وأن الأموات -على ما يبدو- كانوا يحتلون مكانا أكبر وأعظم في انشغالات الأحياء. كانت التأثيرات الاجتماعية تتراجع أمام الاعتقادات تجاه الموت: كان المجتمع اليهودي بقدر ما يتأثر بالمجتمع الاسلامي، في حفلات الزفاف والولادة، والإعذار، بقدر ما يحتفظ بشخصيته إذا مات أحد أعضائه. حقا إن الجنائز الاسلامية كانت مطبوعة بالألم، لكنها لم تكن تخلو من هدوء، أما الجنائز اليهودية، وهي أقرب جدا من الجنائز المسيحية في هذا الجانب، فكانت مطبوعة بالأسى، والرعب، واللجوء المؤلم للرحمة الإلهية: فكانت الحفلات الدينية بها

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨١٧-٨٢٠.

أكثر عددا بكثير، وتمتد فترة أطول ... ومع أنها ذات طابع ديني بصفة عامة، إلا أنها لم تكن تجري بدون طعام ولا موسيقى.[١]

جواز استيجار ماء المسجد لليهود بشروط:

[سؤال] عن مسجد ملاصق لدرب اليهود، فطلبوا من الناظر أن يجزي لهم الماء فيخرج من المسجد لدورهم بعد حفر أبيار بصحنه مقدار خمسة قواديس أو ما يقرب منها، فهل يجوز هذا أو يحفر في الصحن المذكور أم لا ؟

[جواب] أما استجار الماء المذكور فيجوز بشروط ألا يكون على حيطان المسجد ضرر من إجرائه بالموضع المذكور، فإنه قد تسري ندواته حالا واستقبالا إليها، وأن يكون ذلك في فضلة يستغني عنها المسجد حالا واستقبالا كالفيض المستغنى عنه، وأن تكون تلك الفضلة الرفاضات [كذا] التي تحتهم هنالك أو نتن الأقدار وأن يكون القدر الذي يستأجر معلوم، مقدرا بالقادوس الفخذي أو القصبي أو غيرهما بحيث لا يزيد ولا ينقص، وأما إن كان ينقص تارة ويزيد أخرى بكثرة المتوضئين والمغتسلين وقلتهم، فلا يجوز استيجاره وأن يثبت السداد في الثمن إلى المدة المستأجر إليها، فإن ثبت ذلك كله عندكم بواجبه فأجروه وانفذوه، ولا يجوز أن يشترط عليهم أنه مهما احتاج إلى الرم والإصلاح أصلحوه من أموالهم، لأن ذلك مجهول إلا أن يتبرعوا بذلك بعد انعقاد الاستيجار من غير شرط ولا فهم، فيجوز ذلك ويلزمهم ما داموا أحياء فإن ماتوا لم يلزم ذلك تركتهم لأنها هبة لمن تقبض.[٢]

---

(١) **فاس قبل الحماية**، ج.٢، ص.٨٢٦.

(٢) **المعيار**، ج.٧، ص.٥٢-٥٣.

فتوى وجوب منع اليهود من التشبه بالمسلمين في اللباس:

ما يفعله اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل والسروج الثمينة ولبس فاخر اللباس والتحلي بحلية المسلمين في لبس الخف والمهماز والتعمم بالعمائم فمحظور شنيع، ومنكر فظيع، يتقدم في إزالته بما أمكن. وربما يجعلون لذلك محللا زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إن ظهر عليهم زيهم الذي يعرفون به، وهم في ذلك كذابون، لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم، فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجاة اليهودي الذي معه، فلم يبق إلا أنهم لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من جفاة العرب وطغاتهم تزيوا بأفخر زي المسلمين إذ كانوا لا يفعلون ذلك في الحواضر. أحمد الله ظهورهم وأعز الإسلام بذلتهم وصغارهم، بل هم اليوم على أعظم من ذلك، جبر الله صدع الإسلام، فإن قلوب الملوك بيده.[1]

عقوبة اليهودي الذي يتزيى بزي المسلمين:

وسئل بعضهم عن يهودي تشبه بزي المسلمين وأسقط حليته التي يعرف بها.

فأجاب: بأنه يعاقب بالسجن والضرب، فيطاف به في مواضع اليهود والنصارى، ردعا لأمثاله وتشريدا لهم بسبب ما حل به.

---

(١) أبو العباس أحمد الونشريسي (ت.٩١٤هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج.٢، ص.٢٤٨-٢٤٩.

وقد كتب ابن أبي طالب إلى بعض قضاته أن يلزم اليهود والنصارى أن تكون زنانيرهم عريضة في وجه الثوب، ليعرف بها. فمن ركب النهي بعده ضرب عشرين سوطا مجردا ثم صير به إلى الحبس، فإن عاد ضرب ضربا موجعا وبالغ فيه وأطيل حبسه.(١)

فتوى علماء المغرب في عهد بني مرين بألا ذمة لليهود:

شيوخ المغرب أفتوا أنهم لا ذمة لهم [اليهود] فيما دون هذا، هو بيعهم الخمر للمسلمين وتمالؤهم عليه بعد النهي عنه، اتفق ذلك في أيام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني فقتلوا لذلك وسبوا ببلاد بني مرين كلها حسبما ذكره الخزرجي قاضي بادس وغيرها من بلاد الريف في أيام يوسف بن يعقوب المذكور. وليس ما جلبناه عن أيمة مذهب مالك في المسألة مما انفردوا به، بل ذلك هو الحكم عند جميع أهل المذاهب. فهذا الإمام الشافعي-رضي الله عنه- يقول: ينبغي للإمام أن يحدد بينه وبين أهل الذمة جميع ما يعطيهم ويأخذه منهم، فيسموا الجزية وأن يؤدوها وهم صاغرون، على أن تجري عليهم أحكام المسلمين إذا طالبهم بذلك طالب، وعلى ألا يحدثوا في مصر من أمصار المسلمين كنيسة ولا مجتمعا لصلاتهم إلى آخر ما ذكرناه، سقنا منه محل الحاجة.(٢)

---

(١) الونشريسي، **المعيار المعرب**، ج.٦، ص.٦٩.

(٢) **المعيار المعرب**، ج.٢، ص.٢٥٠.

موقف العلماء من اليهود في مطلع العصر الحديث: محمد بن الكريم المغيلي نموذجا:

فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان.

فأقول والله المستعان وعليه الاعتماد والتكلان. لاشك أن اليهود المذكورين كيهود توات وتيجرارين وتافيلالت ودرعة ... قد حلت دماؤهم وأموالهم وأولادهم ونساؤهم، ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية المرعية، وهي كونهم يعطونها عن يد وهم صاغرون... فأنت ترى كيف اختلف العلماء في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم إذا أخلوا بواحدة مما اشترط عليهم. فكيف بيهود لم يأتوا ولو بواحدة، بل وتمردوا على الأحكام الشرعية بسكنى البلاد السائبة والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب من العلماء في إذلالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم. لأن الخلاف المذكور إنما هو في ذمي أخل بشيء من ذلك من غير استمرار وتصميم. وأما من ترك شيئا من ذلك واستمر على تركه وصمم عليه بقصده، فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبيه، لأن ذلك هو التمرد على الأحكام الشرعية. فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض أو كبير فقد انتقض عهده وحل ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة من الصغار والذلة، وعظم ما يكون من التمرد على

الأحكام الشرعية والأركان لاسيما في هذا الزمان.[١]

رسالة الفقيه أبي بكر العصنوني إلى فقهاء فاس وتلمسان يرد فيها على الشيخ المغيلي:

سيدي رضي الله تعالى عنكم، وأدام بمنه عافيتكم، ومتع المسلمين بطول حياتكم. جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة. وذلك أني أفتيت بتقريرها، إذ سألني الفجيجي عنها وعن فصول أخر في شأنهم مما أنكره عليهم وعلى الخلائف، وسأشير لكم إلى بعض جوابي وهو ما يخص الكنائس وما اعترض به علي لتنظروا فيه، وذلك أني طالعت ابن عرفة فوجدته حصل في بلد العنوة والذي اختطه المسلمون ثلاثة أقوال، ثم تكلم على حكم بلاد الصلح. ثم طالعت ابن يونس فوجدته تكلم على تلك الأقسام الثلاثة وأتى بقول مالك في بلد الإسلام دليلا على الحكم الذي أسسه في البلد الذي اختطه المسلمون وذكر خلاف الغير في بلد العنوة خاصة، ثم طالعت البرزلي فوجدته ذكر ما ذكر ابن يونس بعد ذكره ابن الحاج في ذلك، وذكر نوازل أخرى في الكنائس بعد ذلك. وسأثبت منها شيئا بعد إن شاء الله. فتأملت ما في الكتب المذكورة إذ هي جملة ما حضرني، فسبق منها إلى فهمي من كلام ابن عرفة أن المدونة محمولة على أن الغير يخالف في بلد العنوة وفي البلد الذي اختطه

(١) محمد بن عبد الكريم المغيلي، **رسالة في اليهود**، تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط.١، ٢٠٠٥، ص.٧٩-٨٥. وينظر تفاعل بعض العلماء وردودهم على فتوى الشيخ المغيلي عند : الونشريسي، **المعيار**، ج.٢، ص.٢١٤ وما بعدها.(تنظر ملاحق البحث، ص.٦٦-١٠١)

المسلمون لتصريحه بخلافه فيهما عن اللخمي، ولقوة ظني كأكمل شارح عليها لما علم من كثرة تحصيله وسكوته عما تضمنه ظاهرها من قصر خلافه على بلد العنوة.

ولما أن حصل عندي هذا الفهم الذي قررته لكم، وسبق أيضا إلى فهمي أن المسألة المسؤول عنها هي مندرجة في البلد الذي اختطه المسلمون، إذ معنى الاختطاط عندي البناء والتأسيس، أثبت الأقوال الثلاثة وعزوتها كعزوه. وقد كنت وفقكم الله رأيت في البرزلي ما نصه: شروط المأمور به أن يكون واجبا بالإجماع، وشرط التغيير أن يكون المنهي عنه محرما بالإجماع، فقلت لهذا أثر ذكري الأقوال الثلاثة، والصواب عندي تقريرها اتباعا لقول الغير لجري العمل به في كثير من مدن المغرب، وهي مما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده، وفيها العلماء متوافرون في كل وقت، وفيهم من لا يسكت على باطل. وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء، وقد شاهدوا الكنائس فيها وهم من يمتثل قولهم في الأحيان، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلايفهم، ولم يبكزوا الكنائس في جملة ما أنكروه ...

وخالفني المغيلي وقال إن هدمها واجب، وقال: لا يعلم فيها خلافا، وقال لا يفتي بتقريرها إلا دجال. وكان هذا الجواب هو رأي السائل الفجيجي، ونفيا الخلاف الذي نقلته وقالا إنه ليس بموجود في النازلة. والمغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد يدعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها فهو من أهل الجنة، ومن الآخرين فهو من أهل النار. وحكم على من منع من هدمها بالنار لأنه رفع دين الكفر ونصره وقرر بيتا يسب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه محبة اليهود، فاختاروا أيها شئتم، يشير إلى أن تقريرها محبة لهم

ولما هم عليه من الكفر، أعاذنا الله وإياكم من ذلك، ونحو هذا من الأمثلة وضرب الأمثال بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ينفر بها من تقريرها استنزل بها اكثر البلد بنسبتهم إلى حب الكفر وأهله، والمسلمون براء من ذلك بحمد الله تعالى. واحتجا على ما ادعياه من الاتفاق بنص ابن شاس وصاحب **البيان** فقالا: إن ملك موضعها إما أن يكون ببيع أو غيره وكلاهما ممنوع، وتعقب ما ذكرته أن الغير يخالف فيما اختطه المسلمون تمسكا بظاهرها، لاسيما **اختصار البرادعي**، فإنه ذكر قول مالك في بلاد الإسلام وذكر قول ابن القاسم في البلد الذي اختطه المسلمون، فأطلعتهما على نص ابن عرفة، أما المغيلي فتأمله ما شاء ثم ثم أجابني بأن قال: ما اختطه المسلمون ليس كما فهمته بل هو البلد الذي أذن الإمام في بنيانه بعد الفتح ليسكنه المسلمون مع الكفار. ومرة قال البلد الذي أخذه المسلمون ثم سكنه المسلمون معهم، ومسألة النزاع البلد الذي بناه المسلمون لأنفسهم ثم نزل أهل الذمة عليهم، فقلت له كلام ابن عرفة لا يعطي ذلك لأنه قال فسكنوه معهم وهو مقتض أن سكنى أهل الذمة بعد اختطاط المسلمين. وكلامه مقتض أن بلد الإسلام والبلد الذي اختطه المسلمون شيء واحد لاقتصاره على أحدهما، وذلك ظاهر لاختصار ابن يونس للمدونة. وقولها لأن تلك المدائن صارت لأهل الإسلام يوضح فساد تأويله. ولو صح لكانت مسألة النزاع لم يتكلم عليها ابن عرفة بوجه، وهو مؤد إلى قصوره في إغفاله مسألة يدعي المنازع أنها شهيرة لا يخفى على أحد وأنها إجماعية وأيضا مالك وابن القاسم إنما منعا من الإحداث بغير أمر، ومسألتنا يتقرر لها استنادا لقول أو لقوله وقول ابن القاسم على ما أشرنا إليه من احتمال الوفاق. وأجبت عما أورده من منع بيع مكانها أو هبته بأن المنع إنما هو مع التعيين لذلك، ولا نسلم المنع مطلقا. هذا خلاصة الخلاف الذي وقع بيننا في الكنائس.

واعلم سيدي أن الفجيجي وصف في سؤاله أهل الذمة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد، ونحن يا سيدي لا نعرفها، لا سيما يهود مدينة توات. وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر أو الأدب بل هم عند تفطنهم وزجرهم في غاية الذلة والصغار. وأما الجزية فلهم عوائد من قديم الزمان مع الأشياخ في الاعياد وسائر النوائب من الفتن وغيرها من ضيافات العرب وغيرهم. ومرة لو فض ذلك زاد على القدر الواجب ومرة ينقص ومرة يساوي. ويظلمون كثيرا، ولو وجدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر منه. وكل ما قلناه من وصف أهل الذمة يتحققه كل تاجر قدم توات من أهل بلدكم. بل ضعفوا في هذا الزمان وأضر بهم العدم. واعلم يا سيدي أن يهود توات لهم درب اختصوا به وليس في خارجه إلا قليل منهم، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم. جوابكم ولكم الأجر والسلام عليكم والرحمة والبركة.[١]

في حكم معاملة اليهود بالبيع والشراء:

هل تجوز معاملة اليهود بالبيع والشراء منهم والاستدانة أو لا ؟

إذا اشترى الرجل وباع من اليهود على ما يجوز شرعا ولا يعمل معه بربا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك حلال طيب سائغ.[٢]

---

(١) **المعيار المعرب**، ج.٢، ص.٢١٤-٢١٦.

(٢) **المعيار**، ج.٥، ص.٢٤٤.

ذمي استظهر على مسلم برسوم وادعى المسلم قضاء ما فيها:

[سؤال] رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين بثلاثة رسوم أحدها لتاريخه خمسة عشر عاما وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منها بقية وطالبه بها فادعى المسلم المذكور أنه خلصه من الرسوم المذكورة فبينوا لنا هل يكون القول قول الغريم فيحلف أنه خلصه من مضمن الرسوم ويبرأ لطول المدة أو لا يلتفت إلى قوله إلا ببينة ؟ والله يديم عافيتكم.

[جواب] من عادة اليهود لعنهم الله استحلال أموال المسلمين وذلك عادة فيهم حتى ذكرها الله عنهم، والعادة أن أحدا لا يترك ماله عند غيره مدة طويلة فكيف بكافر مع مسلم، وقد قال الفقهاء إن من عرف بالتعدي والظلم فيغلب الحكم في حقه، فمن ادعى على من هذه حاله، فيحلف هذا الطالب ويستحق ما طلب وبالعكس في هذه فكذلك، يقضي في قضية اليهود أن يحلف المسلم أنه خلصه من ذلك الحق فإذا حلف سقط حق اليهودي.

و**سئل** القاضي أبو عمرو بن منضور عن مثلها، ونص السؤال: جوابكم رضي الله عنكم عن اليهود المشتغلين بالمعاملة في الرى وغيرها يستظهرون برسوم شرعية بديون على أناس وتواريخ الرسوم بعيدة التاريخ عنها منه ما يكون عشرين عاما وأزيد وثلاثين وخمسة عشر عاما وعشرة أعوام والغرماء يدعون الخلاص ولا بينة لهم، واليهود لعنهم الله بمكرهم وخبثهم ينكرون القبض فهل يحلفون يمين القضاء ويكلف الغرماء الغرم بعد مضي هذه السنين الطائلة أو يحلف الغرماء على دعواهم أو كيف يكون العمل في قضيتهم ؟ ورغبت الجواب منكم في ذلك وفي كم من المدة يحكم لهم باليمين وغرم الغرماء في العشرة الأعوام فأقل أو في الشهر من ذلك؟ بينوا لنا الحكم في ذلك

أدام الله بقاءكم.

فأجاب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أدام الله عزكم أيها السائل الفاضل ... والجواب عن مسألة اليهود لعنهم الله فالنظر فيهم لاجتهاد القاضي حفظه الله فينظر فيهم كمن كان منهم زيادة لخبثهم ودناءتهم شديد طلب التقاضي والخصام فطول المدة مما يوهن طلبه ويضعفه ويرجع القول للمسلم مع يمينه، وقد حكم بهذا وأفتى به والورثة بمنزلة الموروث إن وقع تحقيق، وإذا أشكل الأمر فالتوقف عن الحكم أولى وإن كان اليهودي ممن يثبت أنه يصبر ولا يغلط وهذا قليل، فالأصل بقاء ما كان على ما كان، وطول المدة ليس فيها على القول بها تحديد، ويؤثر عن الأستاذ الحفار ستة عشر عاما، والأمر في هذا للقاضي، ومضي المدة لا يرهن الطلب، وإن جهل أمر اليهودي فحمله على أنه من الصنف الأول أولى، فهذا ما ظهر لي والله يحفظ مجدكم.[١]

في حل الخلاف في المعاملات المالية بين مسلم ويهودي:

من وضع عقد جوهر عند يهودي، وادعى واضعه المسلم أنه على وجه الرهن، وادعى اليهودي أنه على وجه البيع، فالواجب أن يحلف المسلم وحده أنه على وجه الرهن، ويرد له اليهودي متاعه، ويرد له المسلم ما رهنه فيه، وإذا أذاب اليهودي شيئا بلا إذن مالكه فعليه غرمه، ولا عبرة بمن دفعه من النساء، وإنما العبرة بمالكه، على أن الصانع ضامن كما في المختصر، والله أعلم.[٢]

---

(١) **المعيار المعرب**، ج.٥، ص.٢٤٥-٢٤٦.

(٢) أبو عيسى المهدي الوزاني (ت.١٣٤٢هـ)، **النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، المسماة بـ المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م، ج.٦، ص.١٢١.

مسلم ابتاع جنة من يهودي وحبسها، فقام يهودي يدعي استحقاقها بحبس:

سئل ابن عتاب عن مسلم اشترى جنانا من يهوديين ونزل فيها وحازها عشرة أعوام أو نحوها واعتمرها، ثم حبسها بعد هذه المدة على بنيه، فإذا انقرضوا رجعت حبسا على طلبة العلم، وفي فك الأسرى وعتق الرقاب، ولتاريخ الحبس ثلاثة عشر عاما، وقام الآن يهودي يزعم أن هذه الجنة حبسها عليه عماه، وهما اليهوديان البائعان لها من هذا المسلم قبل التبايع المذكور، واستظهر بوثيقة تحبيس البائعين لها، قد كتب بخط إسلاميين، ذكر فيها أن البائعين اليهوديين حبسا الجنة المبيعة على ابن أخيهما القائم وعلى عقبه ما تناسلوا، وذكر فيها أن أحد اليهوديين المحبسين حازما حبسه من الجنة على ابن أخيه إذ كان صغيرا، فهل تجوز أحباس اليهود ؟ وهل بيعهم لما حبسوا جائز أم غير جائز ؟ وهل تجوز حيازة أحد المحبسين البائعين للجنة لما حبسه ؟ وهل لحاكم المسلمين أن ينظر بينهم في أحباسهم ؟ وهل ترى أن ينقض حبس المسلم بحبس اليهود ؟ وهل تجوز شهادة المسلم على خطوط المسلمين في حبس اليهود أم لا ؟

فأجاب ابن عتاب رحمه الله: قرأت رحمنا الله وإياك خطابك، وفهمت سؤالك، وأحباس أهل الذمة تخالف أحباس المسلمين حماهم الله وكفاهم، وتفارقها لوجوه يطول ذكرها، منها: أن المسلم لا رجوع له في حبسه، ولا سبيل له في فسخه ونقضه، وواجب على القضاة إذا انتهى إليهم تحصينهم بالإشهاد عليه، والتسجيل فيه، وعلى هذا جرى أمر القضاة رحمهم الله، والذمي إذا حبس ثم أراد الرجوع في فعله في نقضه وبيعه وبما شاء لم يعرض له ولا يمنع منه، ولا يحل للقاضي النظر في تحصينه وانفاذه لضعفه، وإلى نحو هذا

ذهب أصبغ بن الفرج، ولروايته معنى ليس هذا موضع بيانه، وقد روى عيسى عن ابن القاسم أن لأهل الصلح بيع أرض الكنيسة إن أحبوا وذلك من أحباسهم، وإذ قد باع اليهوديان المحبسان الجنة التي حبساها فبيعها جاءز نافذ، ولا قيام لهما وللمحبس عليه على المبتاع ولا سبيل إلى الجنات. ولو قام القائم في حين نفوذ البيع ووقوعه لم يرد المبيع ولا فسخ، فكيف وقد حبس المبتاع ما ابتاع ومضت المدة التي وصفت، وتحبيس المسلم لذلك جائز نافذ، ويلزم القاضي إنفاذه وإمضاؤه والحكم به، ولا يسعه غير ذلك، ولا يراعي في حبس اليهودي حيازة ولا غيرها بعد البيع، كانت الحيازة صحيحة أم ضعيفة، وكذلك الشهادة على الخط لا يلتفت إليه فيها، ولا يسمع إقرار اليهودي في أنه حاز نصيبه منها، إذ لا منفعة، إلا أن اليهودي المقر له بذلك القائم بالحبس مطالبة عامية البائعين لما حبساه عليه إن أحب ومحاكمتهما إلى حكم أهل دينهم إن شاء الله تعالى.ولو قام القائم في حين نفوذ البيع ووقوعه لم يرد المبيع ولا فسخ، فكيف وقد حبس المبتاع ما ابتاع ومضت المدة التي وصفت، وتحبيس المسلم لذلك جائز نافذ، ويلزم القاضي إنفاذه وإمضاؤه والحكم به، ولا يسعه غير ذلك، ولا يراعي في حبس اليهودي حيازة ولا غيرها بعد البيع، كانت الحيازة صحيحة أم ضعيفة، وكذلك الشهادة على الخط لا يلتفت إليه فيها، ولا يسمع إقرار اليهودي في أنه حاز نصيبه منها، إذ لا منفعة، إلا أن اليهودي المقر له بذلك القائم بالحبس مطالبة عامية البائعين لما حبساه عليه إن أحب ومحاكمتهما إلى حكم أهل دينهم إن شاء الله تعالى.[1]

(١) **المعيار**، ج.٧، ص.٤٣٨-٤٣٩.

العلماء وتحريم بيع ذبيحة اليهود المحرمة عليهم للمسلمين:

سئل [السيوري] عن قوم يهود ذبحوا الغنم لأنفسهم، فربما خرج لهم في ذلك شيء يسمونه طاهورا فيبيعون ذلك ولا يبينونه، وما علمنا أن أحدا منهم بين ذلك. ونمه من يذبح وهو جزار هذه صنعته ويبيع للمسلمين، فهل يمنع من ذلك كل المنع ؟ ويومر من وجد من اليهود بالبلد أن يذكروا ما يخرج طاهورا ويتقدم إليهم وينهوا أشد النهي، فمن طلع عليه عوقب ؟ بين لنا ذلك.

فأجاب: إذا وقع في ذبيحتهم ما لا يستحلونه فيبيعونه للمسلمين ولا يبينونه فيمنعون من البيع في الأسواق، ولو في موضع يشتري منهم أهل الأسواق.(١)

روايتا صاحب "القرطاس" عن قتل العامة ليهود فاس والتضارب في العدد:

[الرواية الأولى] في شوال من هذه السنة [٦٧٤ هـ/ ١٢٧٦م] قتل اليهود بفاس، قامت عليهم العامة فقتل منهم أربعة عشر ألف يهودي، ولولا ما ركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم ونادى مناديه لا يتعرض لهم أحد لم تبق منهم باقية.(٢)

[الرواية الثانية] في ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمئة أسست المدينة الجديدة على وادي فاس، وفي ثاني شوال المذكور قتل العامة من اليهود لعنهم الله بمدينة فاس ما يزيد على اثني عشر ألفا، فكفهم أمير المسلمين عنهم.(٣)

---

(١) **المعيار**، ج.٢، ص.٢٩.

(٢) علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، مراجعة عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط.٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩، ص.٤٢٠.

(٣) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص.٥٣٤.